

روح المعاني

مخلوقات ه من شاء كالملائكة وعيسى وذهب عليكم أن الإصطفاء ليس باآخاذ والجواب على هذا الوجه أيضا محذوف أقيم مقامه ما يفيد زيادة مبالغة وإنما لم يجعل لاصطفى هو الجواب عليه لصيرورة المعنى حينئذ لو أراد آخاذ الولد لاصطفى من طريق الأولى وحينئذ يكون إثبات الإصطفاء هو المطلوب من الإيراد كما أن التمدح بنفي العصيان في مثال الباب هو المطلوب وليس الكلام فيه وعلى الوجهين هو من أسلوب ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب وجوز أن يكون المعنى في الآية لو أراد أن آعالى أن يتخذ ولدا لجعل المخلوق ولدا إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له آعالى والتالي محال للمبالغة النامة بين المخلوق والخالق والولدية تأبى تلك المباينة فالمقدم مثله ويكون قوله آعالى لاصطفى مما يخلق ما يشاء على معنى لاتخذه ابنا على سبيل الكناية وما تقدم أولى لما فيه من المبالغة التي نبهت عليها وقوله آعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة آخاذ الولد في حقه آعالى وتأكيد له ببيان تنزهه سبحانه عنه أي تنزهه الخالص آعالى أن سبحانه مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحا لائقا لأنه علم للتسبيح مقول على السنة العباد أو سبحانه تسبيحا لائقا بشأنه جل شأنه وقوله آعالى : هو الواحد القهار .

4 .

- استئناف مقرر لتنزهه عن ذلك أيضا فإن آخاذ الولد يقتضي تبعضا وانفصال شيء من شيء وكذا يقتضي المماثلة بين الولد والوالد والوحدة الذاتية الحقيقية التي هي في أعلى مراتب الوحدة الواجبة له آعالى بالبراهين القطعية العقلية تأبى التبعض والانفصال إباء ظاهرا لأنهما من خواص الكلم وقد اعتبر في مفهوم الوحدة الذاتية سلبه فتأبى الإآخاذ المذكور وكذا تأبى المماثلة سواء فسرت بما ذهب إليه قدماء المعتزلة كالجبائي وابنه وأبي هاشم وهي المشاركة في أخص صفات كمشاركة زيد لعمرؤ في الناطقية أم فسرت بما ذهب إليه المحققون من الماتريدية وهي المشاركة في جميع الصفات الذاتية كمشاركته له في الحيوانية والناطقية أم فسرت بما نسب إلى الأشعري وهو التساوي بين الشئين كل من وجه ولعل مراده نحو ما مر على الماتريدي والأفمع التساوي من كل وجه ينتفي التعدد فينتفي التماثل بناء على ما قرروا من أن الوحدة الذاتية كما تقتضي نفي الأبعاد المقدارية تقتضي نفي الكثرة العقلية وأن التماثل يقتضي التعدد وهو يقتضي ثبوت الأجزاء المذكورة كذا قيل وفيه بحث طويل وكلام غير قليل وسنذكر بعضا منه إن شاء الله آعالى في تفسير سورة الإخلاص فالأولى أن يقتصر على منافاة الوحدة الذاتية للتبعض والانفصال لاستلزامها التركب الخارجي

والحكماء والمتكلمون مجمعون على استحالة في حقه تعالى ودليلها أظهر من أن يذكر وكذا وصف القهارية يأبى اتخاذ الولد وقرر ذلك على أوجه فقيل وجه إبانها ذلك أن القهارية تقتضي الغنى الذاتي الذي هو أعلى مراتب الغنى وهو يقتضي التجرد عن المادة وتولد الولد عن الشيء يقتضيها وقيل إن القهارية تقتضي كمال الغنى وهو يقتضي كمال التجرد الذي هو البساطة من كل الوجوه فلا يكون هناك جنس وفصل ومادة وصورة وإعراض وأبعض إلى غير ذلك مما يخل بالبساطة الكاملة الحقيقية واتخاذ الولد لما فيه من الانفصال والمثلية مخل بتلك البساطة فيخل بالغنى فيخل بالقهارية وقد أشار سبحانه إلى أن الغنى ينافي أن يكون له سبحانه ولد بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو الغني وقيل : إن اتخاذ الولد